يوميات الشرق

جدل في مصر حول علاقة الاكتشافات الأثرية بقصص الأنبياء



سانت كاترين ومنطقة التجلي الأعظم في سيناء (وزارة السياحة والآثار المصرية)

القاهرة: محمد الكفراوي

نُشر: 18:56-30 أبريل 2024 م ـ 21 شوّال 1445 هـ

أثارتْ تصريحات لعالم الآثار المصري الدكتور زاهي حواس بشأن «عدم وجود أدلة علمية ومادية على وجود أنبياء في مصر القديمة»، جدلاً واسعاً في الأوساط الدينية والتاريخية والآثارية.

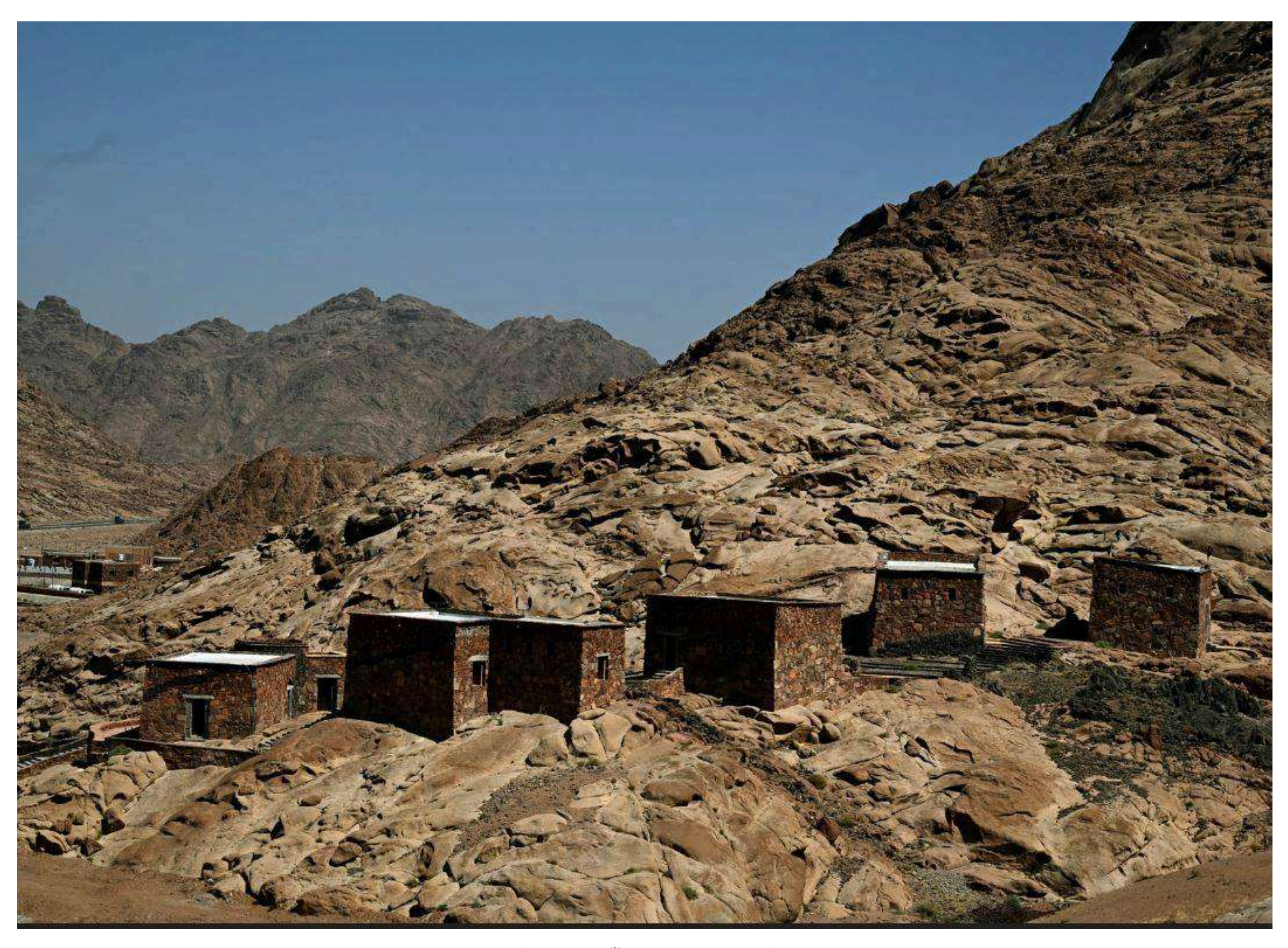
وشدد حواس على أن تصريحاته «كلام علمي لا يقبل النقد»، وأضاف لـ«الشرق الأوسط»: «أنا كمسلمٍ أعترف بكل ما جاء في القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى 100 في المائة، وأن سيدنا موسى وُلد في مصر والخروج حدث من مصر، لكن هذا غير مثبت في الآثار المصرية المكتشفة حتى الآن».

وأوضح حواس أن «السبب في عدم ذكر الأنبياء في الآثار المصرية القديمة عبر النقوش والبرديات هو أن الملك كان لديه برنامج ليصبح إلهاً، ولكي يحقق برنامجه يجب أن تكون لديه مقبرة يدفن فيها ومعابد يتعبد فيها للآلهة ويعبدونه أيضاً فيها، ويوحد مصر العليا والسفلى، ويقدم قرابين للآلهة ويهزم أعداء مصر. هذا البرنامج لا يمكن أن يتضمن سير أنبياء، لأن موسى هزم الفرعون، وفق الروايات الدينية، فلا يمكن للفرعون التالي أن يكتب هذه القصة، لأنها ضد إرادة الفرعون»، حسب وصفه.

وأضاف حواس أنه «تم اكتشاف نحو 30 في المائة فقط من حجم الآثار المصرية، وما زال هناك 70 في المائة أخرى غير مكتشفة. ومن الممكن في أي وقت أن يكتشف عالم آثار لوحة عليها نقش تتحدث عن سيدنا موسى أو الخروج»، على حد تعبيره.

وانقسم جمهور منصات التواصل بين مؤيد لكلام حواس باعتباره «يمثل الرأي العلمي الآثاري»، وبين روايات أخرى تسعى للتأكيد على وجود الأنبياء في العصور المصرية القديمة.

في المقابل، قال الدكتور سعد الدين هلالي، أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر لـ«الشرق الأوسط»، إن «تصريح الدكتور حواس بأن ذكر بعض الأنبياء مثل سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وبني إسرائيل لم يثبت في أي مدونة أثرية مكتشفة لا ينفي وجودهم في زمن الحضارة المصرية القديمة، لذلك فإنه من الوارد أن يثبت ذلك في ما لم يستكشف بعد»، وفق تعبيره.



منطقة سانت كاترين بسيناء من المزارات السياحية المهمة (وزارة السياحة والآثار المصرية)

وتابع أن «أكثر القصص القرآني جاء باعتباره من أنباء الغيب، وذكر أمثلة من قصة النبي نوح في سورة هود، وقصة السيدة مريم من سورة آل عمران وقصة النبي يوسف». وأوضح أن «أنباء الغيب من الماضي لا تكون مكتوبة وإنما وصلتنا عن طريق الوحي».

وذكر أن «إيماننا بالقرآن الكريم يجعلنا نثق ونطمئن بأن القصة حقيقية وواقعية، وكل ما أخبرنا به الله هو حق مطلق، سواء ثبت في حفريات الآثار أم لم يثبت، هذا أمر لا يعني المؤمنين، ولا يضرهم في شيء».

ويمتد هذا الجدل بين النصوص الدينية والآثار والمدونات التاريخية على مدى سنوات، وقد كتب باحثون مثل فراس السواح ومحمد أحمد خلف الله وخزعل الماجدي ومحمد أركون مقاربات حول العلاقة بين التاريخ الأركيولوجي والقصص الديني.

من جانبه، رفض الدكتور عبد الرحيم ريحان، عضو لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة في مصر، ما ذكره حواس. وقال ريحان لـ«الشرق الأوسط»: «بعيداً عن الحقائق الدينية الثابتة، التي لا تحتاج إلى إثباتات تاريخية أو أثرية، فقد تأكد، تاريخياً وأثرياً، وباعتراف اليونسكو، مسار نبي اللّٰه موسى بسيناء». وذكر أنه رصد هذا المسار في كتابه «التجليات الربانية بالوادى المقدس طوى».

وذكر ريحان 3 أدلة وصفها بـ«الدامغة» على وجود نبي اللّٰه موسى في مصر، وكذلك بني إسرائيل، وهي «عيون موسى التي تقع على بعد 35 كم من نفق أحمد حمدي بسيناء، وعددها 12 عيناً بعدد أسباط بنى إسرائيل»، حسب وصفه.

وأشار إلى أن «شجرة العليقة المقدسة الموجودة حالياً بدير سانت كاترين هي الدليل المادي الثاني، وهي الشجرة التي ناجى عندها نبي اللّٰه موسى ربه، وذلك لأن هذ النوع من نبات العليق لم يوجد في أي مكان آخر بسيناء، وهي شجرة غريبة ليس لها ثمرة وخضراء طوال العام، وفشلت محاولة إعادة إنباتها في أي مكان في العالم».

ووفق ريحان، فإن «جبل موسى ذا الطبيعة الجلمودية الصخرية، وجبل التجلي المواجه له ذا الطبيعة الركامية كعلامات للدك، هما الدليل الأثري الثالث».

ويعد الحديث عن وجود ربط بين حقب زمنية معروفة في مصر وبين أنبياء عاشوا في تلك الفترة محركاً رئيسياً لتجدد الجدل والسجال بين العلماء.

ففي عام 2020، أثار علي جمعة، مفتي الديار المصرية السابق، الجدل بتصريحات عن بناء الأهرامات رجح فيها أن النبي إدريس هو من بدأ البناء، وأن تمثال أبو الهول الشهير تجسيد له.



وقال جمعة، وهو عضو هيئة كباء العلماء في الأزهر، في تصريحات تلفزيونية: «هناك كثيرٌ من الأقاويل التي يرجحها العلماء أن نبي اللّٰه إدريس هو من بدأ بناء الأهرامات وعلم التحنيط، وأن وجه تمثال أبو الهول في مصر هو وجهه».

ولم تكن تلك المرة الأولى التي يطرح فيها علي جمعة هذه النظرية، إذ قال في عام 2015 إن النبي إدريس اسمه «أخنوخ» في التوراة، وهو «هرمس الهرامسة»، أي حكيم الحكماء، فهو أول من خط بالقلم وخاط الثياب، وهو مثال للحكمة والعلوم الرياضية والفلكية، وهو «أبو الهول»، كما جاء في كتاب لأحد المؤرخين. وأثار آنذاك موجة واسعة من الجدل والانتقادات ضده.

مواضيع آثار مصر